الإشباع والحذف الصوتي في القراءات القرآنية الشاذة
دراسة في محتسب ابن جني

الدكتور: محمد أحمد أبوعيد
جامعة البلقاء التطبيقية – الأردن

ملخص

قصدت هذه الدراسة إلى تتبع ظاهرتي الإشباع والحذف في القراءات القرآنية الشاذة في كتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني، وهي، أي الدراسة، في تتبعها لهاتين الظاهرتين، خلصت إلى أن "الإشباع" عند ابن جني إنما جاء بمعنى المطل في الدراسات الصوتية المعاصرة. وفي ذلك توافق ابن جني وما ورد في هذه الدراسات، وأما الحذف، فما جاء منه في تلك القراءات الشاذة، فإنه ليس من الحذف في شيء. بل هو اختزال أو تقصير للحركة الطويلة لتكون حركة قصيرة.

* **توطئة:**

تقصد هذه الدراسة إلى تتبع ظاهرتي الإشباع والحذف الصوتي في القراءات القرآنية الشاذة، كما جاءتا في كتاب: "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لابن جني، وهي، أي الدراسة، إذ تقصد ذلك، فإنها تتبع هاتين الظاهرتين في ضوء ما استقر لديها من معارف في الدراسات الصوتية المعاصرة.

* **النظام الحركي في اللغة العربية:**

تتوزع الوحدات الصوتية الأساسية الفونيمات (Phonemes) في اللغة العربية على ثلاثة محاور، هي، تباعاً، الصوامت وأنصاف الصوامت والحركات، فأما الحركات، وهي محور الدراسة الرئيس، فثمة خلاف بين الدارسين المعاصرين في عددها، إذ يعد بعض الأصواتيين الحركات في العربية ثلاثاً (1)، في حين يقول الآخرون بست حركات(2).

VERSION NON IMPRIMABLE

أما من عدّها ثلاثاً، فالحركات، عنده، لا تشتمل إلا على الحركات القصيرة Short Vowels، وما تخضع له هذه الحركات من مطل صوتي أو زيادة في المدة الزمنية ليس إلا فونيماً فوق تركيبي Super Segmental Phoneme، هو فونيم الطول Length (3)، والمطل، على ذلك، لا يجعل من الحركات القصيرة حركات طويلة مستقلة، أي: لا يجعلها وحدات صوتية (فونيمات) قطعية تركيبية (Segmental Phonemes)، فالحركة الطويلة في العربية هي حركة قصيرة خضعت لفونيم الطول.

وأما من جعلها ستاً، فنظر إلى المطل الصوتي، أو زيادة المدة الزمنية على أنه تغيير يجعلنا إزاء صوت جديد مختلف، هو صوت الحركة الطويلة، وعليه، كانت الحركات الطويلة وحدات صوتية مستقلة أو فونيمات قطعية تركيبية (Segmental Phonemes).

وفق وجهة النظر الأولى نكون إزاء ثلاث حركات، فقط، هي الضمة القصيرةـُ/، والفتحة القصيرة ـَ/، والكسرة القصيرةـِ/، وبحسب وجهة النظر الأخرى، نكون بإزاء ست حركات، هي: الضمة القصيرةـُ/ والضمة الطويلة /و/، والفتحة القصيرةـَ/ والفتحة الطويلة /ا/، والكسرة القصيرةـِ/ والكسرة الطويلة /ي/.

إن وجهة النظر الأولى تجعل التمايز بين الحركات نوعي لا كمي (Quality) (4)، وهو التمايز الظاهر بين الضمة والفتحة والكسرة؛ إذ تتمايز هذه الحركات، نوعياً، من جهة اختلاف شكل الحجرة الفموية مع كل منها (5).

وأما وجهة النظر الأخرى، فتجعل التمايز بين الحركات يقوم على اعتبارين:

- الاعتبار النوعي (Quality): كما يجري بين الحركات القصيرة.
- الاعتبار الكمي (Quantity) (6): ويتمثل بالتمايز بين كل من الضمة القصيرة والضمة الطويلة، والفتحة القصيرة والفتحة الطويلة، والكسرة القصيرة والكسرة الطويلة.

على أية حال، فإن وجهتي النظر الأولى والأخرى، وإن اختلفتا في وصف الحركات العربية وتحليلها، إلا أنهما تتفقان على ما هو آت:

VERSION NON IMPRIMABLE

- أحرف المد (الألف والواو والياء)، وفق اصطلاح الأقدمين، ليست من الصوامت في شيء، بل هي إما حركات طويلة، أو حركات قصيرة خضعت لفونيم الطول.
- لا يَفْرُقُ الحركات القصيرة عن الحركات الطويلة إلا المدة الزمنية Duration، وهي عامل كمي (Quantity)، وعلى ذلك، فالحركات الطويلة هي حركات قصيرة أطيلت مدتها، والحركات القصيرة هي حركات طويلة اختزلت مدتها.
- إن التغيير في المدة الزمنية للحركات الطويلة والحركات القصيرة، يغير المعنى في العربية.

* **الرموز الصوتية للفونيمات العربية:**

تنحاز الدراسة، في تمثيلها للفونيمات العربية، خطياً، لرموز الأبجدية، الصوتية الدولية، وهي في انحيازها ذلك، إنما تعبر عما تعهدت به في السطور الأولى للدراسة من الاتكاء على المعارف الحديثة للصوتيات المعاصرة.

وتالياً، الأصوات العربية وما يقابلها من رموز صوتية (7):

أ- **الصوامت:**

- الهمزة : ʔ
- الباء : b
- التاء : t
- الثاء : θ
- الجيم : dʒ
- الحاء : ħ
- الخاء : X
- الدال : d

VERSION NON IMPRIMABLE

- الذال : ð
- الراء : r
- الزاي : z
- السين : S
- الشين : š
- الصاد : Ꞩ
- الضاد : đ
- الطاء : ŧ
- الظاء : ð́
- العين : ɓ
- الغين : ɣ
- الفاء : f
- القاف : q
- الكاف : k
- اللام : L
- الميم : m
- النون : n
- الهاء : h

VERSION NON IMPRIMABLE

ب- أشباه الحركات:

- الواو : w
- الياء : y

ج- الحركات:

a : /ـَ/

aa : / ا /

u : /ـُ/

uu : / و /

i : /ـِ/

ii : / ي /

* **الإشباع الصوتي:**

قال أبو الفتح معلقاً على قراءة الحسن "سأوريكم دار الفاسقين" [الأعراف، 145]: ظاهر هذه القراءة مردود، لأنه "سأفعلكم" من "رأيت"، وأصله سأرئيكم، ثم خففت الهمزة بحذفها، وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأريكم، إلا أن له وجهاً ما، وهو أن يكون أراد سأريكم، ثم أشبع ضمة الهمزة، فأنشأ عنها واواً، فصارت سأوريكم(8).

ويرى ابن جني أن الإشباع في هذه القراءة جيء به؛ لأن الموضع، هنا، موضع وعيد وإغلاظ، فمكن الصوت فيه وزاد إشباعه واعتماده (9).

ومن القراءات الشاذة التي جاء بها ابن جني على الإشباع، قراءة الأعرج عن أبي الزِّناد "بثلاثه آلاف" [آل عمران، 124]، بسكون الهاء على الإشباع، أيضاً (10).

VERSION NON IMPRIMABLE

إن ما حدث في القراءة الأولى "سأوريكم" ليس إلا مطلاً للضمة القصيرة، لتصبح ضمة طويلة، وهو المطل الذي أطلق عليه ابن جني اصطلاح "الإشباع"، ويمكن لهذا المطل الصوتي أن يتضح بطريق الكتابة الصوتية:

Sa'uriikum → Sa'uuriikum

وهو ما يتوضح، أيضاً، بالمعادلة الصوتية الآتية:

u → uu

إن الضمة الطويلة، وفق الدراسات الصوتية المعاصرة، ليست إلا ضمة قصيرة أطيلت مدتها (11). وهي كذلك، وفق ما يفهم من نصوص ابن جني، إذ هي، أي الواو، ضمة قصيرة مشبعة؛ وكان الباحث الحالي توقف في دراسة سابقة عند هذا الوعي المتقدم الذي مثله ابن جني في تكلمه على الإشباع (12)، فهو بهذا، يؤكد أن الواو والياء والألف في أضراب هذه المواضع ليست إلا حركات قصيرة مشبعة، أي حركات قصيرة أطيلت مدتها، وعليه، فهو تنبه من ابن جني إلى أن حروف المد (الواو والياء والألف) ليست إلا حركات طويلة، وينبني على ذلك أن ابن جني قد بشّر بما جاءت به الدراسات الصوتية المعاصرة من أن الحركات في العربية هي حركات طويلة وقصيرة، ومن أن التخالف بين ما هو طويل وقصير من الحركات هو كمي لا نوعي.

أما ما جرى في قراءة الأعرج: "بثلاثه آلاف" فتذهب الدراسة إلى تفسيره على أنه مرَّ بمرحلتين:

- المرحلة الأولى: وليس فيها إشباع، ولكن حذف للتاء والكسرة التي تليها:

θalaaθati → θalaaθa

ti → Ø

والحذف، هنا، حذف مقطعي، إذ حُذف المقطع القصير المفتوح في نهاية الكلمة "ثلاثةِ" "ti"، وقد يكون الحذف، ثمة، تجنباً لتوالي مقطعين قصيرين مفتوحين في نهاية الكلمة:

θa/laa/θa/ti → θa/laa/θa

س ح/ س ح ح/ س ح → س ح/ س ح ح/ س ح/ س ح

VERSION NON IMPRIMABLE

- المرحلة الثانية: وتم فيها مطل الحركة القصيرة في المقطع الأخير في الكلمة الجديدة "θalaaθa" لتكون الكلمة "θalaaθaa"، ويمكن أن يظهر ذلك، على نحو أدق، بالمعادلة الآتية:

$$\theta a \rightarrow \theta aa$$

$$a \rightarrow aa$$

وقد يكون المطل (الإشباع)، هنا، من باب التعويض الصوتي عن المقطع المحذوف (ti)، فكثيراً ما لجأت اللغة لمثل هذا التعويض في سياقات مختلفة، أي كثيراً ما لجأت للتعويض عند حذف ما، بزيادة أو تكبير اللفظ أو المقطع أو الصوت.

على أية حال، فإن ما جرى في المرحلة الثانية هو إشباع ومطل للحركة القصيرة "الفتحة"، وليس ثمة من تسكين للهاء المزعومة، والتي لم تكشف الكتابة الصوتية عن أي وجود نطقي حقيقي لها، بل إن الكتابة الصوتية لتكشف عن خلط وقع بين تلك الهاء المزعومة وبين الفتحتين القصيرة والطويلة، إذ أن الكلمة "ثلاثةِ" "θalaaθati"، حُذِف مقطعها الأخير "ti" وبقيت "ثلاث" "θalaaθa"، ومن ثمَّ، راحت الكتابة تمثل الكلمة الجديدة على النحو الذي ظهرت فيه: "ثلاثه"، وذلك جرياً وراء أن تَثْبُتَ الهاء مُمثّلةً للتاء المربوطة؛ بما يضمن الفصل بين حالتي التذكير والتأنيث، والمطلوب، ثمة، الإشارة لمؤنث العدد؛ وبما يصرف النظر عن فتحة الثاء عن أن تكون حركة إعرابية، ويحفظها حركة صرفية داخلية، أما في حالة الإشباع، فلا ظهور حقيقياً، للهاء، كرة أخرى، إذ إن ما جرى هو مطل للفتحة القصيرة لتكون فتحة طويلة:

$$\theta alaa\theta a \rightarrow \theta alaa\theta aa$$

$$a \rightarrow aa$$

وسعياً من ابن جني لتأكيد شرعية الظاهرة وتأصيلها في النصوص العربية، عموماً، راح الرجل يكشف عن ملامح الإشباع في ما استشهد به النحويون من كلام العرب المنظوم والمنثور، فأما المنظوم، فجاء ابن جني عليه بشواهد عدة، منها: ما أنشده أبو علي لابن جني (13):

وأنني حيثما يسري الهوى بصري

من حَوْثما سلكوا أثني فأنظورُ

VERSION NON IMPRIMABLE

يريد: فأنظرُ، فأشبع الضمة وأنشأ عنهما واواً.

وأنشده أيضاً (14):

عيطاء جمَّاء العظام عطبول

كـأن في أنيابها القرنفول

يريد: القرنفل.

ومن ذلك(15):

فأنت الغوائل حيث ترمي

ومن ذم الرجـال بمنتزاح

يريد: بمنتزح.

ومنه، ما قال عنترة (16):

* ينباع من ذفرى غصوب جسرة

أراد ينبع، فأشبع الفتحة، فأنشأ عليها ألفاً.

ومن ذلك، ما ورد في الخصائص من إشباع للكسرة(17):

– منها المطافيل وغير المطفل.

– والخضر الجلاعيد.

إنما هي الجلاعد، جمع جلْعدَ، وهو الشديد. وهي المطافل، أيضاً

ومن ذلك(18):

تنفي يداها الحصا في كل هاجرةٍ

نفي الدراهم تنقاد الصياريف

قال أبو الفتح: أراد الصيارف، فأشبع الكسرة، فتولد عنها ياء (19).

ومنه (20):

VERSION NON IMPRIMABLE

فبينا نحن نرقبه أتانا

معلِّقَ وفضةَ وزناد راعي

أراد: فبينَ نحن.

ومن ذلك (21):

* لا عهد لي بنيضال.

أراد بنضال.

وكذلك (22):

أقول إذا خرَّت علي الكلكال. إذ أراد الكلكل.

إن تلك الشواهد الشعرية لتتماثل وما شرح، سابقاً، من أمر الإشباع في القراءات القرآنية الشاذة، إذ إن ما حدث فيها ليس إلا إشباعاً أو مطلاً للحركات القصيرة لتكون حركات طويلة، ولعل الكتابة الصوتية تفصح عن ذلك كله بعرض بعض الأمثلة:

قرنفل ← قرنفول

qurunful → qurunfuul

u → uu

انظر ← انظور

ʿunður → ʿunðuur

منتزح ← منتزاح

muntazaħ → muntazaaħ

وبرغم أن ابن جني نص على أن مثل ذلك الإشباع مما تختص به ضرورة الشعر، وقلما يجيء في النثر (23)، إلا أن الرجل راح يأتي بشواهد على الإشباع مما ورد من كلام العرب المنثور، ومن ذلك:

VERSION NON IMPRIMABLE

- ما حكاه عن الفراء أنهم يقولون: أكلت لحما شاة، يريدون: لحمَ شاة، كما يقولون في الوقف: "قالا"، يريدون: "قال" (24).

ومن ذلك ما حدَّث به أبو علي ابن جني من أن أحمد بن يحيى حكى: خذه من حيث وليسا، قال: وهو إشباع ليس، وذهب إلى مثل ذلك في قولهم: آمين، وقال: هو إشباع فتحة الهمزة من أمين (25).

إن هذه الشواهد لتشتمل على ذات المطل الذي اشتملت عليه الشواهد السابقة القرآنية والشعرية:

قال ← قالا

qaala → qaalaa

a → aa

laħma → laħmaa

a → aa

laysa → laysaa

a → aa

وعليه، يكون ابن جني عرض للإشباع الصوتي في القراءات القرآنية الشاذة، وأصّل له في كلام العرب المنظوم والمنثور، وهو على ذلك، أظهر كيف أن الإشباع ليس إلا مطلاً للحركات القصيرة لتكون حركات طويلة.

* **الحذف الصوتي:**

يأتي الاهتمام بالحذف الصوتي في مثل هذه الدراسة، من كونه، أي ذلك الحذف سلوكاً لغوياً نقيضاً لسلوك الإشباع أو المطل، وعليه، فإن الإشباع والحذف ثنائية لغوية، تتحرى الدراسة تفكيكها في ما ورد من نصوص لابن جني في المحتسب، وكان الحذف الصوتي جاء في محتسب ابن جني موزعاً على محاور متعددة، لعل أظهرها:

VERSION NON IMPRIMABLE

أ- **حذف الألف**

ومما جاء منه في المحتسب قراءة أبي حيوة [النازعات، 10] "الحَفِرَة"، قال أبو الفتح: وجه ذلك أن يكون أراد: "الحافرة"، كقراءة الجماعة، فحذف الألف تخفيفاً (26).

ومن ذلك، قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام وفروة بن الزبير وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد "ونادى نوح ابنَهَ" [هود، 42]، أما "ابنَهَ" فإنه أراد: ابنها، كما يروى عن عروة فيما قرأ: "ابنها"، يعني: ابن امرأته، لأنه قد جرى ذكرهما في قوله سبحانه: "وأهلك"، فحذف الألف، تخفيفاً، كقراءة من قرأ: "يا أبت"، قال أبو عثمان: يريد: أبتاه (27).

ومما أورده ابن جني على هذا الحذف قراءة يحيى والأعمش وطلحة بن مُصرِّف وما روي عن أبي عمرو: "من القَنِطين" [الحجر، 55]، أراد بها: "القانطين"، كقراءة الجماعة، إلا أن العرب قد تحذف ألف فاعل في نحو هذا، تخفيفاً (28).

ومما ورد، أيضاً، قراءة علي وزيد بن ثابت وأبي جعفر محمد بن علي والربيع بن أنس وأبي العالية وابن جماز: "لَتُصيبنَّ" في قراءة العامة: "لا تصيبنَّ الذين ظلموا" [الأنفال، 25] أن يكون أراد بقوله: "لَتُصيبنَّ"، فحذف ألف لا، تخفيفاً (29).

إنّ ما ورد من أمثلة على الحذف في القراءات القرآنية الشاذة سالفة الذكر، ليس من الحذف في شيء، من وجهة نظر صوتية معاصرة، فهو ليس إلا تقصيراً أو اختزالاً للفتحة الطويلة، وبه، أي الاختزال، صارت الفتحة الطويلة فتحة قصيرة. وبعبارة أخرى، فإن ما جرى في هذه الأمثلة معاكس لما جرى في أمثلة الإشباع (المطل)، فبدلاً من زيادة المدة الزمنية للحركة القصيرة في حالة الإشباع، قُصِّرت المدة الزمنية للحركة الطويلة في هذه الحالة من الاختزال، وهو ما عده ابن جني حذفاً.

إن الكتابة الصوتية تكشف، على نحو واضح، ما جرى في الأمثلة السابقة:

- الحَفِرَة

ħaafira → ħafira

VERSION NON IMPRIMABLE

aa → a

ومثله ما جرى في:

- ابنَهَ

'ibnahaa → 'ibnaha

aa → a

- وما جرى في: "يا أبتَ"

'abataa → 'abata

aa → a

- وكذلك في: "القَنِطين"

qaanitiin → qanitiin

aa → a

- ولَتُصيبنَّ

laa → la

aa → a

إن الدراسة، ثمة، وإن كانت أشارت في موقف سابق إلى طليعية ابن جني في اكتشاف العلاقة بين الحركات القصيرة والطويلة، وكذلك أشارت إلى سبقه الزمني في القول بأن الإشباع ليس إلا مطلاً للحركات القصيرة، فإنها تجد نفسها تختلف معه، أي ابن جني، في عدّه اختزال الحركات الطويلة حذفاً، فما حدث ليس إلا قصراً للمدة الزمنية للحركة، والحركات القصيرة ليست إلا حركات طويلة اختزلت مدتها.

على أية حال، فإن ما دفع ابن جني إلى هذا الضرب من الزعم هو، وحده، وهم الكتابة، فابن جني ومعه اللغويون العرب نظروا في المكتوب بدلاً من المنطوق، ومن ثم، فهم حاولوا تفسير ما حدث من تغيرات في الكتابة، دون الالتفات إلى أن مثل هذه التغيرات لا تكون مصحوبة، بالضرورة، بتغيرات في النطق.

والناظر في المكتوب يرى أن كلمات من مثل: "الحَفِرة وأبتَ والقَنِطين"، قد حذف منها حرف تشتمل عليه الأبجدية العربية، هو حرف الألف، ولم يستبدل أي من حروف الأبجدية بالحرف المحذوف، والحركات

VERSION NON IMPRIMABLE

القصيرة لا ينظر إليها، وفق المكتوب العربي، على أنها حروف من حروف الأبجدية، بل ينظر إليها في أحوال كثيرة على أنها زوائد تزين حروف الأبجدية بموقعها من الحرف فوقه أو تحته.

ومما زاد من تمكين هذه النظرة عند اللغويين العرب اعتقادهم بأن الحركات الطويلة الألف والواو والياء تأتي مسبوقة بحركات قصيرة من جنسها. وهو اعتقاد نبع أساساً من تأثر الكتابة العربية بالكتابة السريانية التي تثبت رسوماً للحركات القصيرة في المواضع ذاتها (30).

والواقع الصوتي يشير إلى خلاف ذلك، فلا وجود لحركة قصيرة في هذه المواضع، إذ الحركة لا تكون متلوة بحركة، وعليه، فليست الضمة دليلاً على الواو المحذوفة، وليست الفتحة دليلاً على الألف المحذوفة وليست الكسرة دليلاً على الياء المحذوفة، بل إن الضمة والفتحة والكسرة إنما هي اختزال للحركات الطويلة المناظرة.

إن التخالف بين ما تذهب إليه الدراسة وما جاء به ابن جني من تحليل للشواهد القرآنية، لا ينحصر في إطار مصطلحي، فهو ليس خلافاً في المصطلح، وحده، لكنه خلاف في المفهوم، على نحو رئيس؛ فقد يقول قائل إن الاختزال أو التقصير، إنما هو ضرب من الحذف، وهي مقولة تعضدها تلك المقولة ذائعة الشيوع: "لا مشاحة في الاصطلاح".

إن التخالف بين وجهتي النظر، أعلاه، إنما يتركز في المفهوم؛ فابن جني أورد في باب الحذف أمثلة على حذف الألف وغيرها، والدراسة لا ترى حذفاً للألف، بل ترى اختزالاً لها، لتصبح حرفاً صغيراً، هو الفتحة، والفتحة هذهِ، ليست دليلاً على الألف المحذوفة، بل هي الألف نفسها، بعد اختزالها.

وعليه، لا ترى الدراسة نفسها معنية بالمناقشة على نحو معمق للموضوع الاصطلاحي. لأن التخالف يقع في المفهوم، أما الاصطلاح، وتجنباً للإشكالات المفهومية، سالفة الذكر، فترى الدراسة أن يستبدل الاختزال أو التقصير بالحذف.

وجرياً وراء التأصيل للظاهرة، راح ابن جني، وبعد عرضه لأمثلة الحذف في القراءات القرآنية الشاذة، يأتي بأمثلة على الظاهرة ذاتها من كلام العرب، ومن ذلك:

VERSION NON IMPRIMABLE

- قول الراجز (31):

أصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يَرِدا

إلا عراداً عردا وَصِّلينا بردِا

يريد عارداً وبارداً، فحذف الألف تخفيفاً.

ومن ذلك، ما نقل عن العرب قولهم: أمَ والله، لقد كان كذا، ويريد: أما، فحذف الألف(32).

وتكشف الكتابة الصوتية عن حقيقة ما جرى في هذه الأمثلة:

عاردا ← عرِدا

ʕaaridaa → ʕaridaa

aa → a

باردا ← برِدا

baaridaa baridaa

aa → a

أما ← أمَ

ʔamaa → ʔama

aa → a

* **حذف الواو:**

وقد أتى ابن جني على ذلك بقراءة الحسن "وبالنُجُمِ هم يهتدون" [النحل، 6]، قال ابن جني: وإن شئت قلت: أراد: النجوم، فقصر الكلمة، فحذف واوها، فقال: النُجُم (33).

والحق أن ما حدث في هذه القراءة ليس إلا ما حدث مع الألف، فليس ثم من حذف، ولكنه تقصير أو اختزال للألف، لتكون فتحة قصيرة.

نجوم ← نُجُم

nujuum → nujum

uu → u

VERSION NON IMPRIMABLE

وكان ابن جني قد أتى على هذه القراءة بشواهد من كلام العرب الشعري، ومن ذلك، قول الراجز (34).

إن الفقير بيننا قاضٍ حكم

أن يَرِدَ الماء إذا غاب النُجم

أراد: النجوم.

ومنه قول الأخطل (35):

كلمع أيدي مثاكيل مُسَلَّبةٍ

يندبن ضرس بنات الدهر والخُطُبِ

إذ هو أراد الخطوب.

خطوب ← خُطُب

xutuub → xutub

uu → u

ومن نثر العرب، أورد ابن جني قول أبي بكر: أُسْد، إذ إنه مقصور من أسود، فصار أسُد، ثم أسكن، فقال: أسْد (36). وعليه، تكون الكلمة مرت بمرحلتين، كما يتوضح، أدناه:

أ- أسود ← أُسُد

ʔusuud → ʔusud

uu → u

ب- أُسُد ← أُسْد

ʔusud → ʔusd

u → Ø

VERSION NON IMPRIMABLE

وعليه، يكون حَذْفُ، في هذه الكلمة، لكنه حذف وقع في المرحلة الثانية من التحول في الكلمة، إذ حذفت الضمة القصيرة؛ أما في المرحلة الأولى، فليس ثم من حذف، بل اختزال أو تقصير للضمة الطويلة لتكون ضمة قصيرة.

خـلاصــة

- جاء مصطلح "الإشباع" عند ابن جني مرادفاً لمصطلح "المطل" في الدرس الصوتي المعاصر، إذ قصد ابن جني بالإشباع إطالة المدة الزمنية "Duration" للحركة.
- سجل ابن جني موقفاً طليعياً، بعدهالحركات الطويلة الثلاث: "الواو والألف والياء" حركات قصيرة مشبعة، أي: حركات قصيرة أطيلت مدتها.
- التفت ابن جني إلى دور المطل الصوتي للحركات القصيرة في إحداث تغيير في المعنى.
- تختلف الدراسة مع ابن جني في عدِ اختزال الحركات الطويلة حذفاً، فما حدث في ما أسماه ابن جني حذفاً، هو اختزال أو تقصير للحركة الطويلة، لتكون حركة قصيرة، وهو، أي: "التقصير"، ليس إلا نقيضاً لما جرى في الإشباع.
- إن ما جعل ابن جني ينظر لاختزال الحركات الطويلة بوصفه حذفاً، هو وهم الكتابة، وحده، فإبن جني وغيره من اللغويين نظروا في البنية المكتوبة لا المنطوقة، وعليه، سجلوا غياب أحد رموز الأبجدية العربية وهو حرف الحركة الطويلة (حرف المد)، دون أن يجري أي تعويض للمحذوفات في ما كتب، وهم سجلوا، أيضاً، وجود حركات قصيرة قبل الحركات الطويلة، ومن ثم فقد، عدت هذه الحركات على أنها دليل على الحركة الطويلة المحذوفة، إذ هي من جنسها.
- إن دراسة ابن جني للإشباع والحذف في القراءات القرآنية الشاذة لتؤكد على أن تلك القراءات، وإن وسمت بالشذوذ، من الناحية الشرعية، إلا أنها لتمثل حالة أركيولوجية من اللغة، وهي بذلك تتقاطع مع النصوص غير القرآنية التي اشتملت على هاتين الظاهرتين.

VERSION NON IMPRIMABLE

هوامش البحث

(1) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، 1985، ط3، ص312.

(2) محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، النظام الصوتي للغة العربية، عمان، دار الفلاح، 1990، ط1، ص98.

(3) المصدر نفسه، ص45.

(4) أحمد مختار عمر، ص208.

(5) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979، ط5، ص31.

(6) المصدر نفسه، ص38.

(7) حسام النعيمي، الكتابة الصوتية، **المورد**، بغداد، المجلد 16، عدد1، 1987؛ وانظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1980، ط1، ص37؛ بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، بيروت، مركز الإنماء القومي، د.ت.، ط1، ص4؛ خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عمان، جدارا للكتاب العالمي، 2006، ط1، ص2؛ وانظر: W.H.T. Gairdner, The Phonetics of Arabic, London, Oxford University Press, First Edition, p. 48.

(8) ابن جني، (392هـ-1002م)، المحتسب، في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، د.ن.، 1960، ج1، ص258.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص259.

(10) المصدر نفسه، ج1، ص165-166.

(11) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص197.

(12) محمد أبو عيد، أثر الكتابة الأبجدية في تحليل الأصوات الصائتة عند علماء العربية القدماء، **مجلة جامعة قطر للآداب**، قطر، المجلد 28، العدد 28، 2006، ص214.

(13) ابن جني، (392هـ-1002م)، المحتسب، ج1، ص258-259.

(14) المصدر نفسه، ج1، ص258.

(15) المصدر نفسه، ج1، ص340.

(16) المصدر نفسه، ج1، ص340.

(17) ابن جني، (392هـ-1002م)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990، ط4، ج3، ص125-126.

(18) ابن جني، (392هـ-1002م)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1954، ط1، ج1، ص28.

(19) المصدر نفسه، ج1، ص28.

(20) المصدر نفسه، ج1، ص27.

(21) أبو البركات الأنباري، (577هـ-1181م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، ج2، ص742.

(22) ابن هشام، (761هـ-1360م)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بيروت، دار إحياء العلوم، 1981، ط1، ص517.

(23) ابن جني، المحتسب، ج1، ص340.

(24) المصدر نفسه، ج1، ص165.

VERSION NON IMPRIMABLE

(25) ابن جني، (392هـ-1002م)، الخصائص، ج3، ص125.
(26) ابن جني، (392هـ-1002م)، المحتسب، ج1، ص350.
(27) المصدر نفسه، ج1، ص322-323.
(28) المصدر نفسه، ج2، ص5.
(29) المصدر نفسه، ج1، ص277-278.
(30) محمد أبو عيد، أثر الكتابة الأبجدية في تحليل الأصوات الصائتة عند علماء العربية القدماء، ص216.
(31) ابن جني، (392هـ-1002م)، المحتسب، ج2، ص5-6.
(32) المصدر نفسه، ج1، ص171.
(33) المصدر نفسه، ج2، ص8.
(34) المصدر نفسه، ج2، ص8.
(35) المصدر نفسه، ج2، ص8.
(36) المصدر نفسه، ج2، ص8.

VERSION NON IMPRIMABLE

ثبت بمصادر الدراسة

أ- **المصادر العربية:**

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1979.

2- ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، 1960.

3- ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990.

4- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا ومحمد الزفزاف وإبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1، 1954.

5- ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، بيروت، دار إحياء العلوم، ط1، 1981.

6- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، د.ت.

7- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، ط3، 1985.

8- بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

9- حسام النعيمي، الكتابة الصوتية، المورد، المجلد 16، عدد 1، بغداد، 1987.

10- خلدون أبو الهيجاء، فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عمان، جدارا للكتاب العالمي، ط1، 2006.

11- عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

12- محمد أبو عيد، أثر الكتابة الأبجدية في تحليل الأصوات الصائتة عند علماء العربية القدماء، مجلة جامعة قطر للآداب، جامعة قطر، المجلد 28، العدد 28، 2006.

13- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، النظام الصوتي للغة العربية، عمان، دار الفلاح، ط1، 1990.

ب- **المصادر الأجنبية:**

14- W.H.T. Gairdner, Phonetics of Arabic, Oxford University, Press. London.

VERSION NON IMPRIMABLE